

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالَج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

تابعنا في اللقاء الماضي حديث سليمان الحكيم عن ملاحظاته العامة حول الحياة، فتكلم عن صراع الأجيال، وكيف أن كل جيل يظن أنه الأفضل، وأن مفاهيمه هي التي يجب أن تسود. لكن يأتي الجيل الذي يليه وينكر نفس المشهد. فجيل يمضي وجيل يأتي. وبحسب الحكيم هذا أيضاً باطل وقبض الريح.

مستمعي الكريم، هل أنت شخص متدين؟ وهل تصلي إلى الله كل يوم؟ وهل تؤدي فرائضك الدينية؟ وهل تعتقد أنك بصلاتك وبتأدية هذه الفرائض تُرضي الله؟ عن كل هذه التساؤلات تحدث حكيم الجامعة، مقدماً بعض النصائح. فكتب قائلاً: «احفظ قدميك حين تذهب إلى بيت الله، فالاستماع أقرب من تقديم ذبيحة الجهال، لأنهم لا يباليون بفعل الشر» (جامعة ١:٥).

أراد الحكيم القول: احرص أن تكون قدمك طاهرتين عندما تذهب إلى مكان العبادة. لأن الاستماع إلى كلمة الله، أي العمل بموجبها، أفضل من تقديم الذبيحة وأنت تفعل الشر. كان شعب الله في القديم يذهب إلى الهيكل ويقدم الذبائح الحيوانية، ولكنه في نفس الوقت كان يفعل الشر. أي كان تدينه تديناً ظاهرياً، ولم يكن يتخلى عن عمل الخطيئة. ولهذا نصحه هنا الحكيم أنه من الأفضل أن يستمع ويعمل بما يريده الله منه، عن أن يقدم هذه الذبيحة، التي سماها بذبيحة الجهال.

هل تعلم مستمعي أن الكثيرين في أيامنا الحاضرة يفعلون نفس الشيء؟ فهم يذهبون إلى دور العبادة، ويمارسون واجباتهم الدينية من صلاة وصوم، وربما الإحسان إلى الفقراء، لكنهم في نفس الوقت لا يتخلون عن أعمال الشر التي يقومون بها. وهنا يأتي السؤال ما نفع عبادتهم وفرائضهم الدينية يا ترى؟ وكيف من الممكن أن يرضى الله عنهم إذا لم يتخلوا عن أفعالهم الشريرة؟ ولهذا تغدو نصيحة سليمان الحكيم هامة وضرورية، فإن لم نتب عن أعمالنا الشريرة، فإن الله لن يقبل عبادتنا وتأديتنا للواجبات والفرائض الدينية.

مستمعي الكريم، هناك حادثة حصلت في العهد القديم تقدم لنا مثلاً عملياً عما نتحدث به. فلقد طلب صموئيل النبي، من الملك شاول، بناء على أمر من الله، أن يحرم جماعة عماليق وكل ما له من مقتنيات وماشية. لكن الملك شاول لم يسمع لكلام الله، وعفا عن خيار الغنم والبقر، بحجة تقديمها ذبيحة لله. فأناه النبي صموئيل وقال له: « هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب. هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش. لأن التمرد كخطية العرافة والغناد كالوثن والترافيم. لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك» (١صموئيل ١٥: ٢٢ و٢٣).

أجل إن الاستماع لكلمة الله والعمل بموجبها، أفضل كثيراً من تقديم الذبائح، أو الذهاب لدور العبادة ورفع الصلوات والقيام بالواجبات الدينية. لأن عدم سماع كلمة الله والعمل بموجبها، يعتبرها الله تمرداً وخطية كبرى. ولنلاحظ أن الله أزاح شاول عن الملك بسبب هذه الخطيئة بالذات. وهذا يقودنا إلى السؤال عن نظرة الله إلى أولئك الذين يتظاهرون بالتدين الخارجي فقط؟

أجابنا سليمان الحكيم عن هذا السؤال الهام، عندما كتب في سفر الأمثال، هذين المثلين: « ذبيحة الأشرار مكرهة الرب وصلاة المستقيمين مرضاته. مكرهة الرب طريق الشرير. وتابع البر يحبه» (أمثال ١٥: ٨ و٩). أجل مستمعي، إن صلواتنا وفرائضنا الدينية تكون مكرهة لله تعالى، إذا لم تقترن بالتوبة الحقة، والسير في طريق الصلاح والخير. إن التدين الحقيقي لا يكون بالمظاهر فقط، ومحاولة إرضاء الله عن طريق الصلوات وإداء الواجبات الدينية، بل ينبع من القلب، والعمل لتنفيذ مشيئة الله في حياتنا.

هل تعلم مستمعي أن المخلص المسيح قد هاجم رجال الدين اليهود الذين يتمسكون بمظاهر التدين، ولا يعملون بما يطلبه الله منهم؟ فقال لهم: « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة، وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة». وتابع المخلص المسيح قائلاً: « أيها الفريسي الأعمى نقّ أولاً داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجها أيضاً نقياً». ثم شبه المسيح الفريسيين بالقبور المبيضة وأضاف قائلاً: « هكذا أنتم تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثمًا» (بشارة متى ٢٣: ٢٥-٢٦، ٢٨).

أليس هذا ما نلاحظه في أيامنا الحاضرة؟ فهناك الكثيرون من رجال الدين والمتدينين الذين يهتمون بالطقوس ومظاهر العبادة الخارجية. أي ينقون الجسد من الخارج فقط، لكي يظهروا أمام الناس أنهم أبراراً، كما قال المخلص المسيح. ولكن نفوسهم من الداخل تكون مملوءة شراً وفساداً. ولقد شبههم المسيح بالقبور المبيضة التي تظهر جميلة من الخارج، لكنها في الداخل مليئة بالعظام

الميتة الفاسدة. ولهذا دعاهم المخلص المسيح لكي ينقوا أولاً نفوسهم أو قلوبهم من الداخل. لأن هذا هو المهم بالنسبة لله، وليس مظاهر التدين الخارجي من صلاة وصوم، وأداء للفرائض الدينية.

لعل السؤال الآن: كيف بإمكاننا تنقية قلوبنا ونفوسنا من الداخل؟ هل تعلم مستمعي أن المخلص المسيح قد أتى لهذا الغرض، أي لكي يطهر قلوبنا، ويجعلنا خليفة جديدة؟ لهذا مات المسيح على الصليب، ليغفر ذنوبنا، ويطهر قلوبنا من الداخل، وقام من بين الأموات، لكي يجعلنا خليفة جديدة. وها هو الرسول بولس يكتب قائلاً: « إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً » (٢كورنثوس ٥: ١٧). فهل تود مستمعي أن تطهر قلبك من الداخل؟ وأن تكون متديناً بالحق والفعل؟ تعال تائباً إلى الله ومؤمناً بالمخلص المسيح.